

## الشَّخْص

....

اختيار المسرحية ساحة الخضرة موقعاً لعرض حكايتها مثالاً آخر من جماليات الإبداع الرحباني وهو دليل آخر على إصرار الأخوين على شعبية أدبهما الواقعي الحيّ وعلى الهارمونية الفائقة القدرة التعبيرية في تضامن العناصر المسرحية.

بمقدمة قصيرة تؤديها الأوركسترا مستعرضة مكوناتها الوترية والإيقاعية ندخل إلى ساحة الخضرة التي تعجُّ بالناس وحركاتهم السريعة ونداءات الباعة المشغولين بالعرض والترتيب وتلبية طلبات الزبائن وبالوزن والتغليف والمحاسبة وقد غطت وجوههم ابتسامات الرضى وارتخت عضلات خدودهم فناعة بما قدّمته لهم الطبيعة السخية والأرض الطيبة فراحوا يغنون لكرمها مرحبين بالشاويش.. وصباح الخير!

الباعة: / يَلا يَلا يَلا / واسع بابك واسع عَ الدّنيي كلاً  
يَلا يَلا يَلا / ضوّ نهارك طالع والرّزقة عَ الله  
شمس المطالع باب الواسع والضوّ الطّالع طالع  
مشيننا ويلاً / (٢)

....

(الشَّخْص) حاكمٌ وضعته الجهات المستفيدة في مرتبة سامية لا يصل إليها أحد.. فهو الرّمز الأوحى الذي يُختزل به الوطن وتتمثل بكرمه العدالة، وهو الضّرورة التي لا غني عنها، وإلا حلّ الضياع. والمتصرف وأجهزته أصحاب مصالح تقوم ما قامت رفعة الشّخص وقوته. أما ما يلزم لضمان سلامة هذه التكوينة فتتوزع المستويات المتدرجة باتجاه الناس وصولاً إلى أصحاب بسطات الخضرة الذين أوصلهم هذا الواقع إلى حال يبادلون فيها مصلحتهم بالرشاوى التي يتناولها الشاويش وهو مُغمض العينين.

والأخوان رحباني باستعراضهما للبنية الاجتماعية يعكسان الواقع بأمانة وصدق مُظهرين سلوكية الفرد حين تتقاذفها الاحتمالات ضحية تتأرجح حيرى بين الضعف والقوة.

....

الساحة الآن جاهزة لاستقبال موكب الشّخص وكلّ في مكانه والسكون يرافق حالة الترقّب والاستعداد للتصفيق لحظة الوصول كما طلبت رئيسة اللجنة وطمأنها المتصرف (رشيّنا بين هالنّاس من قيلنا ناس).

سكون الساحة الذي لم يخف طبيعته المصطنعة خرقة دخول فتاة بعربتها المحمّلة بالبندورة بشكل هاديء لا يكثرث لما حوله لا تلبث الفتاة أن تبدأ مناداتها على ما عندها غناءً ناعماً:

بائعة البندورة: في معنابندورة جبليّة البندورة  
لا معشوشية ولا مرشوشية من الجرد البندورة

أفلق الواقفين هذا الظهور المفاجيء فانبروا في الفتاة مؤنّبين وطالبيين منها، بلهجة قاسية ونغمة مختلفة عن نغمة البائعة، السرعة بالخروج:

الجميع: يا بنت ابغدي من هالساحة ممنوعة الوقفة بالساحة

....

العجوز: ع علمي كان في هون ساحة؟  
وناس وبياعين.. كينا نيشترى من هون.. شو نقلت الساحة؟  
البائعة: الساحة بعدا.. بس الناس اذكانو فلو  
العجوز: يعني قلت الساحة.. اخدوها الناس وراحو  
البائعة: الساحة لوين بدا تروح؟  
العجوز: يا بنتي بتروح.. لما بتفضي القنينة  
وما يعود فيها نبيد.. شو بيقي من القنينة؟  
اصوات الناس.. البياعين.. العريبات..  
الكرز.. التفاح.. النورذ..  
كلن تركو الساحة.. بقيت فراغة الساحة

مرة أخرى مع الفلسفة الرحبانية بأبسط صورها وأقوى معانيها. لزجاجة النبيذ قيمة نبيذها وبانتهائه لا قيمة لك (فراغة). وليس للساحة معنى إن هي فقرت من الناس والباعة والمحاصيل.

الأخوان رحباني يذكّرانا دوماً بأن الوطن يتمثل بعنصره مجتمعين: الأرض والشعب الحرّ السعيد.. ولا قيمة لأحدهما من دون الآخر.

....

البائعة: أنا قَضِيَّةٌ مَظْلُومَةٌ.. خَلَّصْنِي!  
المتصرف: يا لَطِيفُ ما حَدا مَرْتاحُ..  
لا المَحْكُومُ مَرْتاحٌ ولا الحَاكِمُ مَرْتاحٌ مَوْقِفُكَ مَحَزَّتِي  
وتَذَكَّرْتُكَ طُولَ اللَّيْلِ كان خِيالِكَ عَ التَّقْنِديْلِ  
عبارات المتصرف بعثت شيئاً من الأمل في نفس الفتاة الفلقة:

البائعة: إذا هَيْكَ.. ساعِدْني  
المتصرف: بُشُو بتريدي ساعدك؟ قُولي..  
بيعتك بِطَّانِيَّةٍ؟.. حرام؟.. أكل؟  
البائعة: بَدِّي تساعِدْني بِمَشْكِلتِي  
المتصرف: هايدِي ما عادت يايدِي  
البائعة: طَيِّب لَيْش عَمِلْتُو فِيي هَيْكَ؟  
المتصرف: يا بِنْتِي قَدَّرِي النَّمُوقُ.. تَحَمَّلُونَا  
إذا إنْتُو اولاد النبلد ما تَحَمَّلْتُونَا، مِين بَدُو يَتَحَمَّلْنَا؟  
البائعة: بَسْ إنْت ال عَقَدْتَا وإنْت لازم تَحَلَا  
المتصرف: لا يا بِنْتِي.. لا.. أنا بِيظَلْمُونِي!  
أنا باب.. باب سَمِيكَ.. بِيَقَعْدُو خَلْفِي  
وَبِيصِيرو يَسْكُرُونِي بُوْج النَّاسِ.. شُو بتريدي أَعْمَلْ؟  
صار عَلَيِّي ضَعَطُ..

اللِّي فَوْقُ بِيضْغَطُو عَلَيِّي.. وأنا بِيضْغَطُ عَ اللِّي تَحْتِ  
واللِّي تَحْتِ عَ اللِّي تَحْتِ.. وإنْتو اللِّي تَحْتِ، إنْتو الأساس  
وَأَساسُ البِنائِيَّةِ بِيْتَحَمَّلُ البِنائِيَّةِ.. افْرَحُو وانْبِسْطُو  
لأنَّ العِنائِيَّةِ اخْتارْتَكُنْ تَتَكُونُو أساسُ البِنائِيَّةِ.

المتصرف يظنُّ نفسه قد وصل لمبتغاه.. فهو يريد أن يُقنَعنا عبر الفتاة بأن (العناية) قسّمت النَّاسَ إلى مستويات كطبقات المبنى الذي تقوم أدواره العليا على الدعائم المرتكزة فوق الأساس مما يعطي الأخير أهمية حمّل المبنى وهو يريد للناس أن يكتفوا بالفخر والسعادة لكونهم ذاك الأساس!!.. ولكن البائعة التي أخذت معاييرها في الحياة من سوق الخضرة لا من معابد "العناية" وهياكلها وآبائها ترفض بشدة هذا التقسيم غير العادل والذي تعيده لا لك (العناية) بل للسلوك المرتبط بالمصالح الطبقيّة للحكام ومَن حولهم.. وهي الآن ستردّها صاعين إلى المتصرف باسم باعة الخضروات وباسم ملايين الناس عبر التاريخ وعبر البلدان تحذر هؤلاء من غضب (أساس البِنائِيَّةِ) عندما يطفح الكَيْل:

البائعة: وُلابدَّ هالأساس ما يُشَلِّعُ التَّرابَ  
ويُزَعِّزُ البِنائِيَّةَ والحِيطانَ والابوابَ